إشكالية الاندماج الواعي في الثقافات الغربية لدي الشاب المسلم المهاجر.

الجذور التاريخية والأوضاع الراهنة.

(الجزائر أنموذجا).

عائشة حسيني،أستاذة محاضرة أ
جامعة أكلي محند أولحاج ،البويرة،الجزائر.
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية.

الملخص بالعربية:

تعتبر مسالة الاندماج من بين أهم القضايا التي تطرح بجدية للنقاش في الوقت الراهن، وقد حظيت باهتمام بالغ ليس فقط من طرف عناصر النخبة، بل أيضا من قبل مختلف فئات المجتمع ، ووصل الأمر إلى التيارات السياسية المعاصرة، وان دل هذا على شيئا إنما يدل على أهمية الموضوع في جانبه الاجتماعي، بالنسبة للحكومات الغربية عامة و حتى بالنسبة للفئات المهاجرة، فما هي خلاصة تجارب الجزائريين طيلة قرن من الزمان _خلال ق19م_في مسائل الاندماج، والاندماج الواعي؟، وهل مسالة الاندماج لدي الفئات الجزائرية المهاجرة هي مسالة معاصرة أم لها جذور تاريخية ؟.

الكلمات المفتاحية :

الاندماج ،الاندماج الواعي ،المهاجرين، النخبة، العالم الثالث ،أوروبا ،القرن 19، الجزائريين، العالم الغربي.

Résumé de la langue française

La question de l'intégration est l'une des questions les plus graves à débattre à l'heure actuelle, et elle a reçu une grande attention non seulement de l'élite des éléments, mais aussi de différents groupes de la société, et il est venu à des courants politiques contemporains, et si cela montre quelque chose, démontre l'importance du sujet dans son aspect social, pour les gouvernements occidentaux en général et même pour les groupes d'immigrés, quelle est la conclusion des expériences algériennes sur un siècle au cours de la période de 19 ans dans les questions de fusion et d'intégration consciente? et est la fusion La population immigrée algérienne est une question contemporaine ou a des racines historiques?

Mots-clés

Intégration, intégration consciente, immigrés, élites, tiers-monde, Europe, 19ème siècle, algériens, monde occidental.

The English abstract

The issue of integration is one of the most serious issues to be discussed at the moment, and it has received great attention not only from the elements elite, but also by different groups of society, and it has come to contemporary political currents, and if this shows something, demonstrates the importance of the subject in its social aspect, for Western governments in general and even for immigrant groups, what the conclusion of Algerian experiences over a century during the 19-year period in merger and conscious integration issues? and is the merger The Algerian immigrant population is a contemporary issue or has historical roots?

Keywords

Integration, conscious integration, immigrants, elites, Third World, Europe, 19th century, Algerians, Western world.

مقدمة.

تعتبر مسالة الاندماج من بين أهم القضايا التي تطرح بجدية للنقاش في الوقت الراهن ،والتي حظيت باهتمام بالغ ليس فقط من طرف عناصر النخبة ،بل أيضا من قبل مختلف فئات المجتمع ، ووصل الأمر إلى التيارات السياسية المعاصرة ، والتي أظهرت في الكثير من الأحيان مواقفها الصريحة بشان هذا الموضوع في أكثر من مناسبة ، وان دل هذا على شيئا إنما يدل على أهمية الموضوع في جانبه الاجتماعي ،سواء بالنسبة للحكومات الغربية عامة ، أو حتى بالنسبة للفئات المهاجرة، التي ظلت تحتفظ وتصر على الاحتفاظ بمقوماتها في مواجهة هاجس الذوبان الكلي في الثقافة الغربية ،أو تبحث عن البديل في إطار الحلول الوسطي التي تحافظ لها عن هويتها ، وفي نفس الوقت تمكنها من الاندماج الواعي في ظل الثقافات الغربية المعاصرة ،وفي إطار هذا الموضوع سوف نحاول تسليط الضوء على تاريخ تجارب النخبة الجزائرية في ظل الاندماج والاندماج الواعي، خلال القرنان التاسع عشر والعشرون، وقبل التعرض للموضوع لابد من الإشارة ولو بالقليل إلى مفهوم الاندماج في الوقت الراهن .

مفهوم الاندماج.

أن هذا الموضوع ليس بالجديد على الساحة الدولية ، إلا انه بدا يظهر بجلاء ووضوح تام ،وبدأت النقاشات الساخنة حوله منذ حولي عقدان أو أكثر بقليل ،والسبب في ذلك هو مسالة كيفية إدماج الأجانب بصفة عامة ،ولا نقصد بهم المسلمون لأنهم يمثلون فئة في الأوساط المهاجرة ، أو بتعبير أخر ضمن الفسيفساء الاجتماعية في أوروبا بصفة عامة ،التي انتقلت من ظاهرة الإقامة المؤقتة إلى ظاهرة الإقامة الدائمة ، وممارسة حقوق المواطنة في الغرب في جميع مناحي الحياة – الاجتماعية ،الاقتصادية،السياسية والتعليمة _، إلا أن مشكلة الاندماج الواعي مازالت تطرح نفسها وبحدة في أوروبا ، ففي كل مناسبة تطرأ مسائل الذاتية الاجتماعية للفئات المتواجدة بها ،مما يجعل مسائل الاندماج تتعثر ،وتجلب في طريقها العديد من الظواهر الجديدة، التي هي أساسا ليست مرتبطة لا بالوطن الأم ولا بوطن الميلاد والإقامة، وهنا تظهر مسالة الاندماج ،إضافة إلى الوعي، والتي هي في حقيقة الأمر مركب يحتاج إلى جهد مركز وكبير في إطار المنظومة القانونية بالدرجة الأولي، والتنشئة الاجتماعية من جهة ثانية ،والتي تنعكس فيما بعد على الأجيال بالتقادم.

وبحكم الموقع الجغرافي للجزائر على حوض البحر الأبيض المتوسط أولا ، وقربها من أوروبا ثانيا ،فإنها قد شكلت على مر العصور مركزا مهما للتأثير والتأثر الثقافي، وان أخذنا كنموذج القرن التاسع عشر فإنها مثلت عنصرا مستقطبا للمهاجرين الأوروبيين عامة هروبا من الأزمات التي كانوا يعيشونها جراء التحولات التي عرفتها الساحة السياسية الأوروبية في تلك المرحلة ، وقد نتج عن هذا التحول السياسي والاستراتيجي بعد احتلال الجزائر والقضاء على الحكم العثماني بها أن

خرج الكثير من الجزائريين نحو أوروبا ، وخاصة في نهاية القرن التاسع عشر بحثا عن العمل ، ولهذا فان الجزائر تمثل لنا من الناحية الديمغرافية والتاريخية نموذجا مهما في مسائل الانتقال البشري ، وقضايا الاندماج الاجتماعي بين الأوروبيين والجزائريين ،والتي نشهد إلي اليوم نوعا من تداعياتها ،مما أنتج جملة من الأفكار فيما يتعلق بالتفاعل والاندماج لدى المفكرين السياسيين الجزائريين المعاصرين، وقد ساهم هذا الوضع الجديد على الساحة الجزائرية في إيجاد زخم متنوع من التيارات الوطنية ،تتنوع أفكارها ما بين الاندماجيين والإصلاحيين في المرحلة الأولى ، ثم التيار الاستقلالي في المرحلة الثانية، مما ساهم في ظهور جملة من المفكرين بعد الاستقلال ،والذين أسهموا أيما إسهام في وقضايا الاندماج العقلاني، أو الايجابي والواعي.

فما هي خلاصة تجارب الجزائريين طيلة قرن من الزمان _خلال القرن التاسع عشر _في مسائل الاندماج، والاندماج الواعي ؟، وهل مسالة الاندماج لدي الفئات الجزائرية المهاجرة هي مسالة معاصرة أم لها جذور تاريخية ؟، وهل أنتجت مدرسة التجارب الجزائرية مفكرين معاصرين ساهموا في التأسيس لمشروع الاندماج الواعي؟.

هذه الأسئلة وغيرها يمكن الإجابة عليها من خلال أطروحات بعض المثقفين الجزائريين الذين عايشوا الاستعمار ،والبعض الأخر من ضمن المهاجرين بأوروبا بعد الاستقلال، والذين كان لهم دورا هاما في التنظير لمسالة العلاقات بين المجتمعات المعاصرة، ويمكن القول عن هذه العناصر أنها قد خرجت من رحم المجتمع الجزائري سواء في القرن التاسع عشر ،أو القرن العشرين ،ما ميز هذه المرحلة هو وجود الاحتلال الفرنسي للجزائر ،وما افرزه هذا الاحتلال من أثار تحكمت في مسالة الاندماج من دونه ،وأيضا أفرزت نتائج ساهمت في تقنين العلاقات على مدى أجيال كاملة، رغم وجود الكثير من الجزائريين الذين أقاموا بصفة نهائية أو مؤقتة في أوروبا، فهل كان لهذه الآثار مجمعتا دورا في توجه السلوكيات ،أم ساهمت في خلق كفاءات نظرت للعلاقات الإنسانية في الإطار الاندماج الايجابي والواعي،وهل نجحت في فرض نظرياتها ؟.

ظهور مسالة الفكر الاندماجي بالجزائر في منتصف القرن 19م.

إذا القينا نظرة على الناحية التاريخية فإننا نجد العلاقة العسكرية والعدوانية التي ربطت الوجود الفرنسي بالمجتمع الجزائري، جعلت من الاندماج أمرا مستحيلا تقريبا ،إلا أن حلقات الاندماج كانت موجودة في الكثير من أفكار الطرفين المتناقضين بطريقة شعورية أو لا شعورية ، سواء من طرف الفرنسيين الذين سعوا لاستيعاب المجتمع الجزائري طيلة قرن ونصف من الزمان في أشكال مختلفة ، ولكنها في شكلها العام كانت تهدف إلي إذابة ما يسمي بالكيان الاجتماعي

الجزائري، أو من طرف بعض الجزائريين الذين فكروا في تحسين أحوالهم ، وخلق نوع من الاندماج بين الطرفين في شكل نضام واحد يتعايشون فيه .

ففي بداية الوجود الفرنسي بالجزائر نجد الكثير من محاولات خلق التوافق في أفكار الحاكم العام بارتوزان [1]، الذي تم تعيينه خلفا للجنرال كلوزال يوم20 فيفري من سنة 1831، وقد تولى الإدارة الفرنسية إلى غاية ديسمبر من نفس السنة ، تميزت سياسة هذا الأخير تجاه الجزائريين بالتسامح والضعف حسب ما كان يراه المعمرون آنذاك؛ واقل شدة حسب ما لاحظه حمدان بن عثمان خوجة[2]، وبالأحرى طريقته التي حكم عليها بالارتجالية والفشل حفاظا كما كان يراه على سمعة فرنسا أمام الدول الأوروبية ،وعن موضوع سمعة فرنسا يذكر بارتوزان ما يلي: ".. كنت اعتقد أن من واجبي جعل لفظ فرنسي اسما مبجلا هنا...بفضل حسن سلوكي الشخصي وبأعمالي... إنني مقتنع بأنه لم يسبق أبدا لسكان هذه الربوع أن تعرضوا على يد الحكم التركي إلى مثل هذا الجور، كم من مرة وجدت نفسي خجلا من سمعة الفرنسيين المهانة أمام أنظار قناصل العالم المتحضر وأمام هؤلاء الأفارقة..." [3]، وفي هذا الشأن طلب بارتوزان من وزير الحربية منع الفرنسيين الذين لا يملكون الأموال الكافية في الذهاب نحو الجزائر لأنهم يلقون حتفهم في هذه البلاد، وخاصة منهم الإسبان والايطاليين، وتحديدا المالطيين الذين اعتبرهم من المتشردين لأنهم سوف يؤثرون سلبا علي المجتمع ، وأيضا على مشروع الدولة في حد ذاته[4].

وبغير بارتوزان فإننا نجد الحكام الفرنسيون يبحثون طيلة القرن التاسع عشر تقريبا _عدا البعض في نهاية القرن_ في الكيفية التي يمكنهم بواسطتها فرض الوجود الفرنسي في الجزائر، دون التفكير كثيرا في مصالح الجزائريين، فهاهو الخبير والمستشار السياسي دي توكفيل يدعو إلى المساهمة في تجهيلهم فيقول :"...الأهواء الدينية التي يثيرها القرآن مناؤة لنا كما يقال ،وانه ليحسن تركها تنطفئ في الخرافات والجهل،ما دام ينقص علماء الشريعة والوعاظ، ستكون زلة كبيرة أننا نحاول إحياؤها...دعوا تراجمة الدين، الطبيعيين والمنتظمين ينقرضون ،لا تلغوا الأهواء الدينية اعهدوا بها فقط إلى ساخط أو محتال ،نعلم اليوم إنهم شحاذون و متعصبون ينتمون إلى منظمات سرية، نوع من رجال الدين غير النظاميين والجهلة،هم أولائك الذين اثأروا ضدنا السكان في التمرد الأخير واتوا بالحرب..." [5]،فرؤيتهم هي أن الأهالي أو العنصر المغلوب ،هم الذين يجب أن يسخروه لخدمة العنصر الغالب ،وهذا ما أدي إلى ردود فعل مختلفة في الجانب العسكري أو السياسي بالجزائر ،وأنتج عدم القدرة والقابلية للانصهار والاندماج طيلة الوجود الفرنسي بها ،بالرغم من أن اغلب العناصر المحاربة التي استخدمتها فرنسا في توسعاتها فيما وراء البحار كانت من الفرسان الجزائريين الشجعان حسب ما ذكره الفرنسيون أنفسهم[6]،إلا أنها لم تسعي لتقريب الاحتكاك بين العنصرين اجتماعيا.

ومن ناحية الجزائريين فإننا نجد الكثير منهم سعوا في اتجاه الاندماج في البداية ، ومن بين العناصر الفاعلة في هذا التيار نجد احمد بوضربة، وقد لعب دورا بارزا في بداية الاحتلال، فذكر عنه حمدان بن عثمان خوجة،انه رجل ذكي اشتغل قبل الاحتلال بالتجارة الخارجية ،حيث كانت له محلات تجارية في مرسيليا ، أقام فيها مدة طويلة تعلم خلالها اللغة الفرنسية خاصة بعد زواجه من احدي الفرنسيات، وقد تولى بوضربة مع حسن بن حمدان خوجة التفاوض مع ديبورمون عشية سقوط الحكم العثماني بالجزائر، ونال بموجبها وعودا من ديبورمون بجعله على رأس اللجنة البلدية التي أنشاها لإدارة شؤون العاصمة، منذ هذا التاريخ أصبح ديبورمون يأخذ برأيه في تعيين الجزائريين بالمناصب الجديدة، وفي فترة حكم الجنرال كلوزال ولاه إدارة أملاك مكة والمدينة،كما جدد بيرتوزين ثقته فيه أيضا[7].

وقد تناقض الفرنسيون حوله، فهم من ناحية يثقون فيه، ولكنهم من ناحية أخرى يتهمونه بأنه كان يرأس لجنة المغاربة التي كانت تعمل لصالح استعادة الحكم الإسلامي في الجزائر، والتي كانت أيضا على اتصال مع الداي ،كما وصفوه بالدهاء وكثيرة المشاكل[8]، وعند تكوين اللجنة الإفريقية ظهر بوضربة مجددا فكتب إليها مذكرة مقترحا فيها حلولا عملية لصالح التعاون الفرنسي الجزائري، المذكرة مقسمة إلى مجموعة فصول،وتضم عناوين،مثل التنظيم البلدي؛ تطبيق العدل والقضاء؛ التنظيمات الخاصة بالمناطق الداخلية ، إدارة المؤسسات الخيرية ... وفي عرضه لهذه المذكرة الاندماجية في مفهومها يذكر ما يلي : "...قررت الاندفاع في كتابة ما أظنه ضروريا لتحسين بلدي، وذلك لكي يستريح ضميري..." ثم يقول: "...إنني سوف أحدد الأسس الرئيسية أملا أنها ستفيد فرنسا وطني الجديد...كما أنها سترجع بالفائدة على بني جلدتي..." ،وفي نهاية المذكرة يقول: "...لا ازعم أن جميع الأفكار التي سأعرضها طيبة تتفق مع ذوق الجميع ولا حتى مع ذوق عدد من بني قومي..." [9]، هذه المذكرة تعتبر من أهم الوثائق التي تترجم الرغبة في الاندماج والتعايش من بعض الأطراف الجزائرية في مرحلة مبكرة من الوجود الفرنسي بالجزائر ،إلا أنهم فضلوا الأسلوب الأخر المبني على الجانب العسكري ،والذي أقصي فكرة الاندماج الواعي الوارد في مذكرة بوضربة ، ورغم نضال هذا الأخير في إطار الشرعية الفرنسية وفي إطار الاندماج ، وتعلقه بفكرة التعاون بين الطرفين إلا أنه نفي بسبب انعدام الثقة، مما ابعد نهائيا مسالة التفكير في الاندماج في هذه المرحلة لدي الجزائريين، ورغم المساعي الكثيرة إلا أن مسالة الاندماج ظلت مسالة نظرية في فكر البعض إلي غاية مطلع القرن العشرين.

نماذج عن محاولات الاندماج الواعي في فكر رواد النهضة الفكرية والسياسية الجزائريين في القرن العشرين.

فرحات عباس[10] : انطلق فرحات عباس في علاجه للمشكل الجزائري في إطار ما يسمي بالاندماج الواعي من داخل مجتمعه الذي لم يحتقر فيه دور الفئات الشعبية ، وكان يعتقد وهو يطالب بالاندماج الواعي والحصول على الأحوال

الشخصية ، وإعطاء الفئات الشعبية حقها ،فهي فرصتها للتخلص من بؤسها نهائيا، وذلك ما يفسر إقدامه على نشر مقالات كثيرة في الجرائد ، والتي كانت تولي اهتماما كبيرا بالقضايا المرتبطة بالفئات الشعبية، ويأتي دفاع فرحات عباس عن قيم الإسلام انطلاقا من اعتقاده الراسخ في أن الفرد حتى وان كان داهية، يفقد قيمته إذا عاش بعيدا عن جماعته، وقد أثارت أفكاره القائمة على الدعوة الصريحة للتمسك بالأصالة حفيظة زملائه من مثقفي الاندماج الكامل، فاعتبروا مسألة التوفيق بين الإسلام (الأصالة) والمدنية الغربية (الحداثة)، كما كان يدعو فرحات عباس فكرتان متعارضتان، لهذا فان اندماج فرحات عباس لم يكن يعني أبدا تخصيص النخب وإغفال عامة الناس ،الذين يمثلون في الحقيقة أغلبية المجتمع، فنجاح الاندماج لا يقاس بأفراد يعدون على الأصابع.

ولان فرحات عباس كان يعتقد أن امتيازات البعض ستؤدي حتما إلى بؤس البعض الأخر،وتساهم في تفاقم الفوضى الاجتماعية والانقسامات الطبقية داخل النسيج الاجتماعي،مما يحرم أيضا أصحاب الامتيازات من الاطمئنان، وذلك ما كان يرفضه بشدة، وحول موضوع الاندماج الواعي يقول : "...وانه لشيء مثالي لو تصبح فرنسا بالملايين الستة من الجزائريين القوة الإسلامية الأولي... هذا ليس بمستحيل، من حيث انه لا شيء في قرأننا يمنع جزائريا مسلما أن يكون من حيث جنسيته فرنسيا، ليس هناك شيء يمنع إلا الاستعمار نفسه بمصالحه الأنانية..." [11]،أما عن مسائل التقارب بين المسلمين الجزائريين والأوروبيين فان فرحات عباس بناءا على تجربته فقد أعطانا رؤية واضحة لمستقبل العلاقات الاجتماعية بالجزائر في إطار الشرعية الفرنسية حيث قال أن : "...الكتلة الأوروبية والكتلة المسلمة بقيتا متمايزتين غريبتين عن بعضهما، ولا روح مشتركة بينهما..." [12]،وهذا ما ابعد دائما حسب فرحات عباس الاندماج بين الكتلتان اللتان بقيتا طيلة قرن ونصف من الزمان متمايزتان بعيدتان عن بعضهما البعض ،لا تجمع بينهما لا روابط روحية ولا روابط إنسانية، والنتيجة معروفة والأسباب واضحة حسب فرحات عباس.

<u>الأمير خالد:</u> يعتبر الأمير خالد أيضا من النماذج الهامة بالساحة الجزائرية التي كانت تري في مسالة الاندماج الواعي أهم نقطة في العلاقات بين الطرفان الفرنسي والجزائري ،خاصة انه تلقي تعليما عربيا إسلاميا وفرنسيا في الوقت نفسه ، وقد واصل دراسته الثانوية بباريس بثانوية لويس الأكبر بعد أن عادت عائلته إلى الجزائر سنة 1892، وانضم إلى الكلية الحربية الفرنسية المعروفة بسان سير saint– Cyr التي تخرّج منها عام 1897 ،وقد شارك في حملات عسكرية بالمغرب سنة 1907 برتبة ملازم أول قبل أن يرقّى إلى رتبة نقيب في سنة 1908، بعد أن استفاد من عطلة خاصة لمدة 03 سنوات ،وفي عام 1913 شارك من جديد في الحرب العالمية الأولى كضابط صبايحي، وانسحب من الجيش الفرنسي سنة 1919 واستقر بالجزائر[13].

يعتبر الأمير خالد مؤسس للحركة الإصلاحية ، فقد استغل الرصيد النضالي لجده الأمير عبد القادر ومعرفته للحضارة العربية الإسلامية في نضاله بعد ح ع1، بدأ نشاطه السياسي بعد تقاعده من الجيش الفرنسي على جبهتين: الأولى: التصدّي لدعاة الإدماج الكامل والداعين إلى التجنّس بالجنسية الفرنسية مع التخلي عن الأحوال الشخصية، والثانية ضد المعمرين والنوّاب الفرنسيين المعارضين لتحسين وترقية العنصر الجزائري وإقصائه من الساحة السياسية الجزائرية، وقد بعث الأمير خالد بعريضة إلى الرئيس الأمريكي ولسن يطرح فيها مطالب الجزائريين، التي يظهر عنها أنها مطالب عقلانية جدا ،حيث دافع عن فكرة المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين في الحقوق السياسية ، ونشط في كل الاتجاهات ، فبعد عريضته إلى الرئيس الأمريكي ولسن ترشح للانتخابات البلدية ، وصار عضوا بالمجلس البلدي للجزائر العاصمة وأنشأ جمعية الأخوة الجزائرية [14]، وعند زيارة الرئيس الفرنسي ميلي ران Millerand إلى الجزائر في مارس 1923 طرح الأمير خالد أمامه مجددا مطالب الجزائريين، هذا النشاط عوض أن ينبه الإدارة الفرنسية إلى ضرورة اتخاذ الليونة السياسية ، جعلها تصدر أمرها بنفي الأمير خالد إلى خارج الجزائر في شهر جويلية من سنة 1923، إلا أن نفيه لم ينه نشاطه السياسي ، فقد شارك في مؤتمر باريس للدفاع عن حقوق الإنسان ، ومن منفاه و صلت رسالة الأمير خالد إلى هيريو رئيس الوزراء الفرنسي سنة 1924، أكدّ له فيها من جديد على المطالب الأساسية للجزائريين، ورغم محاولاته المتكررة للعودة إلى الجزائر إلاّ أن السلطات الفرنسية منعته إلى غاية وفاته بدمشق في 09 جانفي من سنة 1936[15]، والسؤال المطروح هنا هل بنفي الأمير خالد قضي على الأفكار التي جاء بها ،أم أن نفيه كان بمثابة الشرارة التي أشعلت الفتيل أكثر ،مما جعل المطالب تتجاوز فكرة الاندماج إلي البحث عن الحلول الجذرية ،ومن هنا نستطيع القول بأن الأفكار لا تموت بنفي أصحابها ،بل تتطور وتصبح أكثر تعصبا مما سبق.

_ إشكالية للاندماج الواعي للمسلمين في الثقافات الغربية (محمد أركون أنموذجا[16]).

محمد أركون مفكر وفيلسوف جزائري غني عن التعريف في الساحة العالمية والإسلامية المعاصرة ،جمع في تجربته بين ذكريات الطفل والشاب الجزائري في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر ،وبين المفكر العالمي الجزائري المعترف بفكره وأطروحاته في أكثر من جامعة ودولة من جهة ، ومن جهة أخري فهو بين قوسين المهاجر من شمال إفريقيا إلى أوروبا في الفترة المعاصرة ، وقد أعطانا في كتابه المعنون بالإسلام، أوروبا ،الغرب ،رهانات المعنى وإرادات الهيمنة خلاصة تجاربه في مسالة الاندماج التي دافع عنها في أطروحاته الفكرية والفلسفية سابقا، وما تلقاه من تمييز رغم انه كان يضن بان اندماجه الفكري سوف يشفع له ،وسوف يذيب من حوله حواجز المفكر المسلم الشمال إفريقي جزائري الأصل.

وعن الدور الذي يجب أن تلعبه أوروبا تجاه العالم الإسلامي يقول:"...اعتقد انه يمكن لأوروبا أن تساعد الدول العربية والإسلامية على الاندماج في مناخ المعني والقيم التي أدت إلى انبثاق الهوية الفكرية الأوروبية ...في الحالة الراهنة للأمور فان هناك فجوة واسعة وعميقة لا تزال تفصل بين كلتا ضفتي المتوسط، فالعقليات متباعدة إلى أقصي حد، والعنف الإيديولوجي يلهب النفوس ضد بعضها البعض، والمخاوف الحقيقية أو الوهمية لا تزال رازحة، والجهل المتبادل لا يزال قويا..."-[17]،وحول العلاقة الفوقية التي كانت تجمع بين الأوروبيين والمسلمين آنذاك يصرح أركون ويقول عن الحوار الذي أجراه معه بولكستاين ما يلي : "...من النادر أن يتنازل زعيم حزب أوروبي...كي يتحاور مطولا مع أستاذ جامعي...وبخاصة أن هذا الأستاذ ينتمي في أصوله ومنشئه إلي هذه الهجرة المغاربية نفسها ، التي تسبب الكثير من المناقشات الحامية والتوترات الصراعية، ومختلف أنواع الرفض والنبذ في المجتمعات الأوروبية...وقد رددت على دعوته بالإيجاب ، رغبة مني بتبيان مدى ضرورة الحوار وخصوبته...وتزداد هذه الضرورة وتصبح أكثر إلحاحا عندما يتعلق الأمر بتبديد العديد من الأحكام السلبية المسبقة ، وسوء التفاهمات والمسلمات الخاطئة التي تتحكم بالرؤيا الأوروبية للإسلام والمسلمين...ومن المعروف أن هذا الموضوع أصبح حساسا جدا يودي إلى إثارة الانفعالات والهيجانات في أي لحظة..." [18].

وحول مسالة العلاقة بين الفرد ذي الأصول الإسلامية والغرب عامة يقول أركون: "... أتمني أن لا يفهم كلامي هذا على أساس انه هجوم على الغرب ، أو أن هذا الهجوم شيء طبيعي لأنه صادر عن شخص مسلم...فعلى الرغم من أني احد الباحثين المسلمين المعتنقين للمنهج العلمي والنقد الراديكالي للظاهرة الدينية ، إلا أنهم يستمرون في النظر إلي وكأني مسلم تقليدي، فالمسلم في نظرهم شخص مرفوض ، ومرمي في دائرة عقائده الغريبة، ودينه الخاص ،وجهاده المقدس ،وقمعه للمرأة ،وجهله بحقوق الإنسانية وقيم الديمقراطية...هذا هو المسلم ولا يمكنه أن يكون إلا هكذا...والمثقف الموصوف بالمسلم يشار دائما إليه بضمير الغائب، فهو الأجنبي المزعج الذي لا يمكن تمثله أو هضمه في المجتمعات الأوروبية، لأنه يستعصى على كل تحديث...هذا ما استخلصته بشكل ضمني أو صريح خلال مناقشاتي العديدة مع الجمهور الأوروبي والأمريكي..." [19].

أما عن نضرتهم للإسلام كدين فيقول :"...انه موضوع يقطعونه ويصلونه ويسيئونه ويجوهرونه ثم يضخمونه حتى ليكاد يصبح غولا مرعبا أو وحشا إيديولوجيا ...وإذا ما حاول باحث مسلم أن يحول هذا الموضوع إلى ذات، وإذا ما حاول أن يرتفع بنفسه من مرحلة الخضوع السلبي إلي مرحلة السيادة الذاتية...فأنهم يرفضونه بحجة انه تبجيلي يدافع عن دينه كالعادة، أنهم يطردونه إلى قريته كما كان يقول محافضوا الإدارة الاستعمارية في الجزائر سابقا... إنني اعبر عما يحدث

بالفعل في أوروبا منذ أن كان العمال المهاجرون قد اخذوا يشكلون فيها قوة ملحوظة اجتماعيا وسياسيا...أليست الصورة التي قدمتها تمثل فكر الأوروبيين وممارساتهم تجاه الجاليات المغتربة والمتواجدة في فرنسا وألمانيا وانكلترا وهولندا...كل ذلك يتكامل ليقدم صورة سلبية شنيعة عن الإسلام والمسلمين ، هكذا أصبح المسلمون يشكلون في نظر الغرب خطرا لا يمكن احتماله...." [20].

وحول أمنيته عن الدور الايجابي الذي يجب أن يلعبه المهاجرون في أوروبا قال: "...إن هذا النداء الذي أوجهه من اجل التوحيد الثقافي والعقلي للفضاء المتوسطي أصبح يفرض نفسه بكل إلحاح اليوم بعد ما تزايدت الهجرات العربية والإسلامية إلى أوروبا ،فبدلا من أن تكون هذه الهجرات فرصة نادرة من اجل التعارف وجسرا للحوار بين كلتا الضفتين ،أصبحت ذريعة للبغضاء والتطرف ،وتقوية الأحكام المسبقة والسلبية عن الإسلام والعرب...اعترف إني قد وجدت في هولندا دعما لتوجيهي وترحيبا عفويا طيبا لأفكاري...انه اقل عبوسا من ذلك الذي يبديه الفرنسيون تجاه كل ما يخص الإسلام و المسلمين..." [21].

أما عن العلل فيقول أن الباحثون الغربيون دائما يبحثون عن أصل العلة في الإسلام ،فالإسلام في نضرهم هو سبب كل المشاكل[22]، ويعوز أركون هذه الأمور لدي الأوروبيين إلى إهمال دراستها وإخضاعها للمنطق، ومن ثمة الحكم عليها ،أي إلي الأحكام المسبقة الموجودة في ذهن الأشخاص من العوام ،وحتى المثقفين يحملون نفس الأفكار المسبقة[23]، وعن النتيجة المنتظرة من هذا الجهد الذي يبذله أركون فانه تمني أن يؤدي إلى خدمة قضية كبرى ،لأنها تخص أوروبا والعالم الإسلامي والفكر المعاصر في آن معا[24].

وكنتيجة مما سبق نجد أن أركون كان يتوخي الحذر في كلامه عامة عن الغرب، بالرغم من أن طرحه تم بطريقة علمية وفلسفية، بل ويترجي أن لا يؤول كلامه بشكل خاطئ على أساس انه هجوم ذاتي من مفكر إسلامي على الغرب، فمن المفروض أن يكون الرد من نفس المستوي، أن يكون فكريا عن طريق المنطق والفكر ،ولا يتجاوز إلى التعصب، لان هذا الرد قد يدعو إلى ردود من نفس المستوي أيضا، والنتيجة هي أن المكانة العلمية، والحصانة الفكرية التي يتمتع بها أركون كمفكر عالمي لم تمنع بعض الجهات من التعرض له كمسلم قبل كل شيء، لما ابدي بعض الأفكار التي تتعارض معهم ليس كمسلم ، وإنما كفيلسوف و كمفكر عالمي معروف ومعترف به .

خاتمة.

من خلال عرض التجربة الجزائرية في مسالة الاندماج لاحظنا ما يلي:

_ عدم اكتمال المشروع بسبب التصلب الذي كانت تتسم به الإدارة تجاه السكان و الحركات الوطنية.

_ هذه المواقف أدت إلى التطور من فكرة الاندماج والمساواة إلي القطيعة ، مما أدي إلى صيغة جديدة في العلاقات ، وهي عدم الثقة في قرارات الإدارة فيما يخص الجزائريين.

_ والنتيجة هي الانفصال بسبب عدم إمكانية التواصل، وانقطاع وانسدادا سبل الحوار.

_ بالنسبة لجيل المهاجرين المثقفين الذين اختصرت الحديث عنهم في شخصية عالمية أكثر منها جزائرية وهي شخصية محمد أركون، نلاحظ أن الحصانة الفكرية التي يتميز بها كمفكر عالمي، لم تمنع بعض الجهات من التعرض له كمسلم قبل كل شيء ، لما ابدي بعض الأفكار وبطرح عقلاني ومنطقي حيث لم يتعارض معهم كمسلم وإنما كفيلسوف، فالأجدر أن يكون الرد على الفكر الفلسفي بالمنطق والعقل لا بالتعصب.

فالخلاصة إذن من خلال ما سبق أن الفشل في الاندماج عائد إلى الطرفان، ولكن المسؤولية الأكبر تقع على عاتق الطرف القوي دائما، والسبب هو عدم اكتساب الخبرة الكافية في التعايش، وتغليب المصلحة الآنية على المصالح البعيدة للمجتمعات، إن أفضل التجارب هي تلك التي تتبني على الاعتدال في الطرح، ولا تتنافي مع الاندماج العقلاني والايجابي مع أي مجتمع ،وعدم التدخل المباشر في الحياة الشخصية المبنية على الهوية الذاتية ،شرط أن لا تمس بالوطن ومصالحه، هذا الاندماج يجب أن يكون مؤسسا على التجانس العقلاني، واحترام ثقافة الأخر، وكل هذا ينبني على التنشئة الاجتماعية الإنسانية غير الانتقائية في الإطار الوطني، والهادفة بالدرجة الأولى إلى احترام الاختلاف عند الأخر، والوقوف عند حدود المصالح الوطنية، وذلك عن طريق النقاط التالية:

_ تنمية الاعتزاز بالمواطنة بالدرجة الأولي في المدارس لدي أبناء الجاليات المختلفة، والتأسيس للاندماج فيما بينهم في إطار النشاطات الرياضية والرحلات والاحتكاك المستمر، دون المساس بالهوية أو الدعوة لإبرازها كعامل تميز عرقي أو ديني من اجل إذابة الحواجز الاصطناعية بين أبناء الجاليات ، والتأسيس لمجتمع أكثر وعيا و اندماجا مع الوقت .

_ تأسيس مراكز وطنية تحت رعاية الدولة نفسها، تهتم بتخريج الإطارات الدينية والثقافية لأبناء للجاليات من العناصر المحلية، لا تتعارض مع فكرة الاندماج الوطني الواعي، عوض استيراد الأفكار جاهزة وغير مدروسة، أو محاربة الانتماءات الدينية لهم وهدم وغلق مؤسساتهم ومراكزهم الدينية، ما يجعلها تلجا إلى النشاط السري المليء بالتعصب والذي يحمل في كثير من الأحيان أفكار مغلوطة.

_ استخلاص العبر التاريخية الايجابية في إطار علاقات حسن الجوار والتعايش من خلال الثقافات والأديان، فالاختلاف موجود ولكنه لا يفسد من الود شيئا، أي تهوين مسالة الاختلاف ومعالجتها بالمنطق والعقل، وتنمية أساليب

الحوار الراقية في المجتمع، مع الاستفادة من الخبرات السابقة لدي الديانات السماوية في مسائل الجوار والعلاقات الإنسانية، ولدي الدول الرائدة في هذا المجال.

الهوامش.

([1])_ولد في 24 ماي 1778 بمقاطعة هيرولت، دخل الجيش أول الأمر ضمن فرقة الجيش الجمهوري والإمبراطوري، ترقي إلى رتبة جنرال عام 1811،شارك في الكثير من الحروب الخارجية الفرنسية ومنها حملتها على الجزائر ،وقد اعتبر قلة الجيش أثناء حكمه من أسباب تأخر الاحتلال بالجزائر، وقد اتهم بالمسالمة في سياسته تجاه الجزائريين مما حرك ضده الإدارة الفرنسية التي أنهت مهامه وعينت مكانه الدوق دي روفيقو، ينظر: الغربي (الغالي) وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد،منشورات ، م ، و ، د ،ب ،ح ، ث ، دار هومة ، الجزائر، 2007،ص321.

([2])_حمدان بن عثمان (خوجة)، المرآة، تقديم، تعريب وتحقيق د محمد العربي الزبيري ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006 ،ص275.

([3])Victor (Démontés)، Les préventions du général berthezenne contre la colonisation de L'Algérie imprimerie Algérienne, Alger, (s, d), pp 32_34.

([4])_ Charles André (julien), histoire de l'Algérie contemporaine 1827_ 1871, édit. Casbah, Alger ,2007 pp 85_86.

([5])_ دي توكفيل (ألكسي)،نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان،ترجمة إبراهيم صحراوي،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2008،ص 129.

([6])_ جيلالي صاري (وآخرون)،هجرة الجزائريين إلي أوروبا،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،الجزائر ،2007،ص 6.

([7]) _أبو القاسم (سعد الله) ،محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، المجلد الثالث، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، طبعة خاصة ، ص73.

([8]) _ نفسه ، ص73-79.

([9]) _ قنان (جمال) ، نصوص سياسية جزائرية في القرن 19، 1830 – 1914، د، م، ج، 2007. ، ص66- 64.

([10]) _ ولد فرحات عباس بالطاهير في جيجل ،في 24_10_1899، وتوفي في 24_12_1985،من الشخصيات السياسية الجزائرية التي لعبت دورا مرموقا سواء في المطالبة بالاندماج مع فرنسا ،ثم فيما بعد خلال الثورة التحريرية الجزائرية والاستقلال،كان في البداية يطالب بالاندماج ،والمساواة في الحقوق والواجبات بين الفرنسيين والجزائريين ، وفي العشرينيات انخرط في حركة الشبان الجزائريون ،وناضل مع أعضاء هذه الحركة من اجل الإصلاحات التي تخدم الجزائريين المسلمين ، كان يكره العنف ويؤمن بسياسة المرحلية ،ومسايرة الظروف، وقد استهوته الحضارة الفرنسية ،فأصبح شغوفا بها إلى درجة أن صرح أن الجزائر أرضا فرنسية ، ونحن فرنسيون لنا قانونا الشخصي الإسلامي،كما صرح انه لا يوجد في القرآن نص يمنع الجزائريين من الجنسية الفرنسية، وباختصار فان فرجات عباس من الشخصيات السياسية التي تتميز بالاعتدال وتنبذ استخدام العنف، وقد انخرط منذ صغره في التيارات السياسية الاندماجية إلا أن تعنت الإدارة الفرنسية في وجه المطالب الاندماجية ،جعلته يتحه نحو التيار الاستقلالي في الثورة ،ويكون أول رئيس للحكومة المؤقتة الجزائرية.

للمزيد من المعلومات ينظر :_ عمار (بوحوش)،التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962،دار الغرب الإسلامي ،ط1، 1997، ص 232_243.

([11]) _ عباس (فرحات)، الجزائر من المستعمرة إلي المقاطعة، الشاب الجزائري 1930، ترجمة احمد منور، منشورات المسك، ص 161.

([12]) _ نفسه ،ص 192.

([13]) _ أبو القاسم (سعد الله) ،الحركة الوطنية الجزائرية ،الجزء الثاني ،دار الغرب الإسلامي ،1992، ص 360_361.

([14]) _ نفسه،ص362.

([15]) _ نفسه ، ص 363_364.

([16]) _ ولد عام 1928 في بلدة تاوريرت ميمون (آث يني) بالجزائر، وانتقل مع عائلته إلى بلدة عين الأربعاء (ولاية عين تموشنت) حيث تابع دراسته الابتدائية بها، ثم واصل دراسته الثانوية في وهران لدى الآباء البيض ،يذكر أركون أنه نشأ في عائلة فقيرة، وكان والده يملك متجراً صغيراً في قرية اسمها (عين الأربعاء) شرق وهران، فاضطر ابنه محمد أن ينتقل مع أبيه، ويحكي أركون عن نفسه بأن هذه القرية التي انتقل إليها كانت غنية بالمستوطنين الفرنسيين وأنه عاش فيها "صدمة ثقافية"، ولما انتقل إلى هناك درس في مدرسة الآباء البيض التبشيرية، والأهم من ذلك كله أن أركون شرح مشاعره تجاه تلك المدرسة حيث يرى أنه (عند المقارنة بين تلك الدروس المحفزة في مدرسة الآباء البيض مع الجامعة، فإن الجامعة تبدو كصحراء فكرية.

ثم درس الأدب العربي والقانون والفلسفة والجغرافيا بجامعة الجزائر و بتدخل من المستشرق الفرنسي لوي ماسينيون (Louis Massignon) قام بإعداد التبريز في اللغة والآداب العربية في جامعة السوربون في باريس، ثم اهتم بفكر المؤرخ والفيلسوف إبن مسكويه الذي كان موضوع أطروحته، تميز فكر أركون بمحاولة عدم الفصل بين الحضارات شرقية وغربية واحتكار الإسقاطات على أحدهما دون الآخر، بل إمكانية فهم الحضارات دون النظر إليها على أنها شكل غريب من الآخر، وهو ينتقد الاستشراف المبني على هذا الشكل من البحث، يتميز طرح أركون الفكري بمحاولة نقد أسس العقيدة الإسلامية على غرار المستشرقين حيث تتلمذ على المدرسة الاستشراقية ويورد كثيرا من المقدمات الخاطئة التي يبني عليها نتائج غير صحيحة. عُين محمد أركون أستاذا لتاريخ الفكر الإسلامي والفلسفة في جامعة السوربون عام 1980 بعد حصوله على درجة دكتوراه في الفلسفة منها، وعمل كباحث مرافق في برلين عام 1986 و1987، شغل منذ عام1993 منصب عضو في مجلس إدارة معهد الدراسات الإسلامية في لندن.

كتب محمد أركون كتبه باللغة الفرنسية و بالإنجليزية وترجمت أعماله إلى العديد من اللغات من بينها العربية والهولندية والإنجليزية والأندونيسية ومن مؤلفاته المترجمة إلى العربية:نجد الكتب التالية : الفكر العربي، الإسلام: أصالة وممارسة تاريخية الفكر العربي الإسلامي أو "نقد العقل الإسلامي"،الفكر الإسلامي: قراءة علمية ، الإسلام: الأخلاق والسياسة ،الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد،العلمنة والدين: الإسلام المسيحية، الغرب، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي،من فيصل التفرقة إلى فصل المقال: أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟،الإسلام أوروبا الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة،نزعة الأنسنة في الفكر العربي،قضايا في نقد العقل الديني. كيف نفهم الإسلام اليوم؟،الفكر الأصولي واستحالة التأصيل. نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ،معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية ، من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني. أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني،تاريخ الجماعات السرية .

وتوفي في 14 سبتمبر 2010م عن عمر ناهز 82 عاما بعد معاناة مع المرض في باريس ودفن في المغرب.

_ ينظر: محمد أركون ،وكيبيديا ،الموسوعة الحرة ،تاريخ الدخول 24 جوان ،2015https://ar.wikipedia.org/wi

([17]) _ محمد أركون ، الإسلام ،أوروبا ،الغرب،رهانات المعني وإرادات الهيمنة،ترجمة هاشم صالح،دار الساقي ،لبنان،ط2 ، 2001 ، ص 35.

([18]) _ نفسه المصدر ، ص 43.

([19]) _ نفسه ،ص45.

([20]) _ نفسه ، ص 46.

([21]) _ نفسه ، ص 51.

([22]) _ نفسه ، ص 60.

([23]) _ نفسه ، ص 63.

([24]) _ نفسه ، ص 111.